انثربولوجيا الرمز في الخزف المعاصر

م.م.عامر طاهر محمد

معهد الفنون الجميلة

Amer.taher1278@gmail.com

الملخص:

عني هذا البحث بدراسة مستفيضة قدمت البحث بثلاث فصول ، والتي بينت عنوان البحث الذي يخص الجانب الانثروبولجي وتمثلات الرمز في الخزف المعاصر ، وتعبيراتها الداخلة في البنية الانثروبولوجية للخزف المعاصر ، وكانت المقدمة التي استعرضها الباحث ، بعلاقة الفن بالنمط الحياتي للمجتمع ومدى تأثر الفن بالأحداث والظواهر التي رافقت في حياتنا اليومية ، ومن ثم بينت مشكلة البحث ، هل هناك قراءة أنثروبولوجيا في الخزف العالمي المعاصر؟ ، وماهي الدلالات الرمزية والمعرفية في نتاجاتهم ؟ . وما هي الكفايات و الدلالات الرمزية الخاصة التى تجسّد اللوحات لدى الخزاف المعاصر ؟ وما مدى تأثر المتلقي بمضمونها والدلالة الرمزية و المعرفية ؟، ومن ثم تركز هدف البحث ، التعرف على انثربولوجيا الرمز في الخزف المعاصر. ، وجاءت أهمية البحث فيما يلقيه من ضوء على انثربولوجيا الرمز وتمثلاته الصورية الرمزية في الخزف المعاصر . وكشف عن الرموز وتمثلاتها في نتاجات الفنانين المعاصرين. وردت في البحث كلمات مفتاحية (الرمز ، الانسان ، السايكولوجيا ،الميثولوجيا ،الفلكلور،الموروث، دلالات)

Abstract

This research is concerned with a comprehensive study that presented the research in three chapters, which showed the title of the research that concerns the anthropological aspect and the representations of the symbol in contemporary ceramics, and its expressions included in the anthropological structure of contemporary ceramics, and the introduction in which the researcher reviewed the relationship of art to the lifestyle of society and the extent to which art is affected by the events and

phenomena that accompanied our daily lives, and then showed the problem of the research, is there an anthropological reading in contemporary global ceramics?, and what are the symbolic and cognitive connotations in their products?. What are the special symbolic competencies and connotations that the paintings embody for the contemporary potter? And to what extent is the recipient affected by their content and symbolic and cognitive connotation?, and then the goal of the research focused on identifying the anthropology of the symbol in contemporary ceramics., and the importance of the research came The importance of this research is evident in what it sheds light on the anthropology of the symbol and its symbolic pictorial representations in contemporary ceramics. And it revealed the symbols and their representations in the products of contemporary artists. The research included the following keywords: (symbol, human, psychology, mythology, folklore, heritage, connotations).

مشكلة البحث

اعتبر الانسان ان الفن من الوسائل المهمة للتواصل بها مع المجتمعات وعدةُ لغة عالمية ، انطلاقا من اشكاله وصوره الرمزية التي يخاطب من خلالها الفرد او المجتمع . اذ اخذت التصورات والمعتقدات الاجتماعية والدينية والتاريخية والثقافية في مرحلتة الأولى للتأمل فيها ، وتحولت هذه المعتقدات لأشكال ورموز مختلفة ذات مفاهيم معروفة استنبطها من مجال الطبيعة لتمثل فيما بعد هذه الرموز ثقافة الانسان الخاصة به .

ينطلق هذا البحث بتساؤلات من حيث الدراسة تحليلية التي ياتي من خلالها عرض عدد من النتاجات الفنية في الخزف المعاصر والتى تعرف اعمالها بالأشكال الرمزية ولكن بدلالات انثروبولوجي ، وتسلط الضوء على تساؤلات جديدة في معرفة دور الرمز في اعمال الفنان في إطار انثروبولوجيا، ومعرفة دور الفنان وطبيعة وظيفية الاشكال الفنية الذي اختارها الفنان و توظيف رموزها المرتبطة بتصورات ذهنية وممكن انهم ورثوها من البيئة التى عاشوا فيها .

تكمن مشكلة البحث في التساؤلات الآتية : هل هناك قراءة أنثروبولوجيا في الخزف العالمي المعاصر؟ ، وماهي الدلالات الرمزية والمعرفية في نتاجاتهم ؟

أهمية موضوع البحث:

تتجلى أهمية هذا البحث فيما يلقيه من ضوء على انثربولوجيا الرمز وتمثلاته الصورية الرمزية في الخزف المعاصر . وكشف عن الرموز وتمثلاتها في نتاجات الفنانين المعاصرين وما هي آليات اشتغاله في إعماله . كيف تمثّل الرمز بنائياً وجمالياً في الخزف المعاصر.

هداف البحث :

التعرف على انثربولوجيا الرمز في الخزف المعاصر.

حدود البحث :

- حدود مكانية : اوربا
- حدود زمانية : من ٢٠١٠ الى ٢٠٢٠
- الحدود الموضوعية : النظريات الانثروبولوجية الأدبية والفلسفية

تحديد المصطلحات

الاول الانثربولوجيا : Anthropology

الانثربولوجيا لغة

La definition Etymologique مشتقة من كلمة اغريقية (Anthropos) ومعناها انسان ولوغوس من (logos) ومعناها خطاب او بحث او دراسة او علم ، وهنا نفضل كلمة علم .(JACQUELINE، ٢٠٠٤ ،٢٤)

الانثربولوجيا اصطلاحا:

- تعني كلمة الانثروبولوجيا علم دراسة الإنسان ، ويرتبط هذا المعنى بالاشتقاق اللغوي لكلمة انثروبولوجيا من الأصل الإغريقي ، حيث تتألف الكلمة من مقطعين : الأول (Anthropos) أي الإنسان ، والثاني (Logy) أي الكلمة أو الموضوع

والدراسة ، وهكذا يتحدد معنى الانثروبولوجيا بدراسة الإنسان في أصوله التاريخية التي تمس جوانبه العضوية والاجتماعية والحضارية ، وتطور تلك الجوانب عبر الزمان والمكان ، وما تفرزه نشاطات الإنسان من أنماط وتراكيب ووظائف وعلاقات اجتماعية متباينة(الخطيب ، ٢٠٠٥ ،١١)

- الانثربولوجيا ، بانها العلم الذي يدرس الانسان من حيث هو كائن عضوي حي ، يعيش في مجتمع تسوده نظم وانساق اجتماعية في ظل ثقافة معينة .. ويقوم باعمال متعددة ، ويسلك سلوكا محددا ، وهو ايضا العلم الذي يدرس الحياة البدائية والحيات الحديثة الانساني الطويل .(الشماس ، ٢٠٠٤ ،١٢)

- انثروبولوجيا : علم من علوم الانسانية يهتم بدراسة الانسان من حيث قيم الجمالية والدينية الخلاقية القتصادية والثقافية والجتماعية) ومكتسباتة الثقافية .(ابن منظور،١٩٩٠ ،١٢٢٣)

- هو علم من العلوم الانسانية يهتم بمعرفة الانسان معرفة كلية وشمولية .

تعريف الاجرائي : تبنى الباحث التعريف الاتي (انثروبولوجيا : علم من علوم الانسانية يهتم بدراسة الانسان من حيث قيم الجمالية والدينية اخلاقية اقتصادية وثقافية واجتماعية) ومكتسباتة الثقافية.)

الثاني : الرمز (Symbol)

الرمز لغة :

– بأنّه تصويت خفي باللسان كالهمس ، ويكون بتحريك الشفتين بكلام غير مفهوم باللفظ ، وهو إشارة وإيماء بالعينين والحاجبين والشفتين. (ابن منظور ، ١٩٩٠ ،١٢٢٣)

–رمز : رَمَزَ – رمزاً اليه : أشار وأومأ . ترامز القوم : رمز كل منهم الى الآخر . يقال : (دخلت عليهم فتغامزوا وترامزوا) أي أشار بعضهم الى البعض والرُّمْز والترمز جمعها رموز : الإشارة والإيماء . (مجموعة من الباحثين ،١٩٨٦ ، ٢٧١)

الرمز اصطلاحاً

– شيء يهتدى إليه بعد اتفاق ، وتقبله جميع الأطراف بوصفه يحقق مقصداً معيناً بطريقة صحيحة(كولنجوود ، ٢٠١١، ٢٤٨)

–الرمز علامة تنتج من قاعدة عرفية أو ترابط معتاد بين الإشارة وموضوعها . (كيزويل ، ١٩٨٥ ،٢٩٠)

– **الرمز إشارة معناها شيء متفق عليه، وهو معنى لا ينبغي أن نعرفه إلا إذا عرفنا أنه قد اتفق عليه (ريد ،١٩٨٦ ،٢٤٧)**

– الرمز اداة ذهنية ، او مظهر من مظاهر فاعلية العقل البشري. وحينما ينجح المرء في توصيل فكرته الى الاخر عن طريق الرموز ، فاننا نقول عنه انه قد احسن التعبير عن تلك الفكرة.(زكريا ،١٩٨٨ ،٢٦٣)

<u>التعريف الإجرائي للرمز في علم الانثربولوجي</u> : (ياتي تعريف الرمز في علم الانثربولوجي بصورة وصفية، وليس مصطلح ،وتكون تاويلات الرمز واسعة، وتكون وضيفة الرمز في علم الانثرولوجي كصفة رمز ذات معنى خاص وينتمي كهوية لمجتمع ما).

الانثربولوجيا المفهوم المعرفي والمفاهيمي .

الانثربولوجيا ، وهو علم حديث ، يبحث في شوؤن الانسان والمجتمعات القديمة والحديثة في كيفية التفاعل مع البيئة الطبيعية ، وتكون الانسان في الزمن القديم من مجاميع صغيرة وباستمرار الزمن تحولت الى مجتمعات اكبر هذا الاخيرة كونت لنفسها لغة وثقافة ودين خاص بها، ومنها نشأة عادات وتقاليد ومظاهر وسلوك وتجسدت كل هذه الامور في ذات الانسان وكونت له هوية ذاتية خاصة، فان " الانثربولوجيا بوصفها دراسة للانسان في ابعاد مختلفة البيوفيزيائية والاجتماعية والثقافية ، فهي علم شامل يجمع بين ميادين ومجالات متباينة ومختلفة وبعضها عن بعض ، اختلاف على التشريح عن تاريخ تطور الجنسي البشري والمجتمعات العرقية وعن دراسة النظم الاجتماعية من سياسية واقتصادية وقرابية ودينية وقانونية . وما اليها... وكذلك عن الابداع الانساني في مجالات الثقافية المتنوعة التي تشمل : التراث الفكر وانماط القيم . وانساق الفكر والابداع الادبي والفن ، بل والعادات والتقاليد ومظاهر السلوك الادبي والفن في المجتمعات الانسانية المختلفة ، وان كانت لا تزال تعطي عناية خاصة للمجتمعات التقليدية "(**أبو زيد** ،٢٠٠١ ،٧) . وفي نفس الوقت يهتم هذا العلم ايضا بسلوك الانسان ضمن الاطار الثقافي والاجتماعي ، وبالأفعال والاحداث اليومية وكيفية تعامل الفرد مع

المجتمع. ويهدف ايضا الى كشف المظاهر الحياتية البشرية والثقافات بشكل دقيق ومعرفة سلوكياته وتعامله في حياته اليومية . ويهتم بالمظاهر الحضارية في سياق معرفة مراحل تطور الانسان البدائي الى المعاصر وهذا العلم يدرس تطور الانسان من حيث الزراعة والصناعة والتكنلوجيا ويحاول ربطها ومقارنتها بحضارات اخرى وايجاد عناصر التغير المختلفة فيها .

لقد تنوعت دراسات علم الانثربولوجيا واصبحت لها حقول ومجالات معرفية (الدين والسياسة والثقافة والادب والفن وللغة والحضارة وغيرها من العلوم النسانية والطبية والنفسية) تداخلت مع هذا العلم ليتم عن طريقهما تفسير الانسان.

اصبحت الانثروبولوجيا تدخل بشكل عميق في الدراسات الانسانية . ولكن دراسات الانثربولوجيا تحتاج في نفس الوقت الى مادة (الاثنوغرافية) التي تعمل او تساعد على تحليل كل ما يتعلق بدراسات مجال الانسان من اسلوب حياته التقليدية والعادات والقيم والفنون والمأثورات الشعبية لدية ، ويهدف الاثنوغرافية الى التصورات النظرية في مختلف الانظمة الاجتماعية والانسانية من حيث اصولها تطورها . ويساعد ايضا في وصف الحضارات وبحث المشكال النظرية المتعلقة بتحليل العادات البشرية للمجتمعات الانسانية المتباينة.اذ اهتمت " الانثروبولوجيا بقوننة عمليات الجمع والتصنيف واستخدام المواد الاثنوغرافية اكثر من تحديد الوضعية المعرفية للوثيقة الاثنوغرافية. يعدو السبب ذلك على الارجح الى الامتداد شبة اللامتناهي لحقل معلومات متوفر للمعرفة الاثنولوجيا لمجتمع معين. عندما ينظر تحديد نقطة بدايته ونقطة انتهائها ، ومن الوهم التفكير بتحديد نمطية لها. تتسع الفكر رويدا رويدا انها لا تساعد فقط في وصف الشواهد المادية وغير المادية لثقافة ما بل كل ما يحمل بنظر الاثنولوجي بطريقة ما. (ايذار،بوينت، ٢٠١١،٢٩) والاثنوغرافيا من اقدم فروع المعرفة في علم الانثربولوجيا عندما قام الاسيويون والامريكيون في بحث ادواتهم وعاداتهم وتقاليدهم وكل ما يمثل بثقافتهم المادية بحيث تبنى العلماء الانثروبولوجيون هذه الادوات واستخدموها في تطويردراستهم للمجتمع البشري. واعتمدو ايضا بالوثائق الاثنوغرافية والوثائق التاريخية وتكون دراستها حول الحدث و الفكر، وهنا استعمل والثنوغرافيا كمؤشر جعل كمفهوم دلالى او اشارة رمز له ، من خلاله يتم طرح سؤال والبحث عن الاجوبة ، ويكون نقط انطلاق البحث الميدانى كمادة معرفية او مادة منهجية.

ان من اهم اهتمامات الانثربولوجي هو دراسة التغيرات المناخية ، والحالات الاجتماعية والثقافية منها (الفلكلورية والعرقية والمذهبية والدينية) ، اذ رائ الفيلسوف (كلود لفي ستراوس) "ان السلوكيات الاجتماعية كممارسات الزواج (نظام الزواج) وبناء نظام الاسرة بالغوص في المجتمعات غير المتحضرة كقبائل الهنود الحمر في منطقة الامزون تربط بالانتاج الرمزي لهذه

المجتمعات كاللغة ، طرق التعبير، الرقص ، الابداعات الفنية اللباس ولهذا فلا فرق بين الانثربولوجيا الاجتماعية والثقافية وقد سميت هذه الانثربولوجيا كذلك بالنزعة الثقافية .(تيلوين ،٢٠١١، ٣٥-٣٤) وهذا النزعة الثقافية تدخل بالعلم السايكولوجي او النفسي من خلال دراسات ثقافة الانسان ، التي تعتبر ثقافة موروثة لأنها انطلقت من فترة الطفولة واستمرت معه لتصبح جزء من هويته الخاصة التي لا يستطيع التخلي عنها.

الا ان المهمة ليست بهذا القدر ، من خلال الثقافة الممنوحة للفرد ، بعدها موروث يقدم الضاغط العقائدي البيولوجي ، وفق عمليات تثقيف تختلف من فرد الى اخر ، والامثلة في ذلك كثيرة ، منها ، فسكان الاسكيمو تقنيون عظام وعلماء اجتماع بسطاء ، وفي استراليا العكس ، فقد يسمح بأختيار المعايير اختياراً غير محدود ، بتأليف عدد غير محدود من السلسلات المختلفة (شتراوس ،١٩٧٧، ١٦)، وهذا الامر يختلف بالانتماء للبيئة العربية ، فأن المعايير في الانتماء ، نجدها تختلف عن الموروث التاريخي لكل مجتمع ، فنجد العلاقات والسلوكيات تعتمد منظورا اخر ، فالطاقات المعبرة في البيئة العراقية مثلا مفعمة بالموروث الرافديني ، وتمثل بيئة خصبة لمخيلة الخزاف العراقي ، فنجد ان مجموعة الاعمال المنتجة والمواضيع المختارة ، تمثل باب من أبواب الابداع ، فضلا عن مايحتويه الخزاف العراقي من منظومة علاقات تمتزج في داخله من علاقات متفاعلة متداخلة بين الموروث الرافديني والمنظومة الإسلامية المحملة برموز وعلامات ، اتاحت للخزاف ان يستدعي تلك العلاقات المهيمنة على سلوكياته ، ويجسدها بهيئة اعمال متنوعة الأسلوب والتشكيل ، وهذا الامر ، يقدم للخزاف العراقي القدرة على انتاج نصوص فنية ، تحاكي بمفهوما طاقات تعبيرية ممتزجة بين اعمال تنتمي الى سلطة الدين الرافديني ، واعمال أخرى تقدم روحية الإسلام

فأذتا قصرنا تطبيقها على الحالات الاكيدة التي تظهر فيها المؤسسات الاجتماعية بجميع خصائصها ، فان هذه الحالات خاصة جداً ، لكي تتيح صياغة قانون تطور ديني (تايلر ،١٨٦٥، ٣) ، ولو قمنا بتقديم قراءة نقدية تحليلية ، بدأ من عناصر وتشكيلات لها ارتباط بأحداث وظواهر ، حدثت في تواريخ سابقة ، نجد ان تداولها لايزال يستخدم الى يومنا هذا بحكم ضاغط انتمائها ، فالجماعيات الدينية ، او الميثولوجية تستخدم هذه المفردات في ضمن الحراك الفكري الاجتماعي ، دون الحاجة الى معرفة الأسماء او الوظيفة الدينية المستخدمة في تلك الفترة ، او الممارسات والمعتقدات المتعلقة بأنواع الاشكال والصور في تلك الفترة ، فهي في الفترة المعاصرة اخذت منحاها كنزعة جمالية في الفكر البشري ، وفق عوامل فيزائية بايلوجية اجتماعية التي تمثل الثيمة الرئيسية في عالم الفكر البشري .

ومن هذا المنطلق ليكون بحثنا صحيحاً ودقيقاً ، ينبغي ان تقتصر دراستنا الحالية على منطقة

المتحول الدلالي للرمز في الانثربولوجيا

أن كل شيء في هذا الوجود هو عبارة عن رمز لشيء ما، والأنسان يحاول أن يحول كل ما يحيط به الى رمز ذو أهمية تعبيرية، فالأشكال الطبيعية والأشكال التجريدية الهندسية أو النباتية وحتى الأشياء التي يقوم بصناعتها، كلها قد تمثل رموزاً له " الأنسان بميله الى صناعة الرموز، يحول المدركات أو الأشكال الى رمز. (يونغ ، ١٩٨٤، ٣٤٥)

لذلك فأن الكثير من الفلاسفة والمفكرين أهتموا بدراسة الرمز، فظهرت العديد من المفاهيم والآراء المختلفة والتي تناولت الرمز بالدراسة والتحليل، اذ فسر الفلاسفة الرمز كل حسب رؤيته الخاصة، فالرمز هو الأحجية أو اللغز ذو الدلالة التي يدلل بها الأنسان على شيء او معنى معين أو مطلق، فهو يشير الى شيء موجود فيقوم مقام الشيء كأنه هو، بحيث يعرف عن طريق هذه الدلالة مباشرة سواء بحسب ما أصطلح العرف عليه أو أقرته التقاليد منذ زمن بعيد.(حسن ، ٢٠٠٠، ١١٣) ويرى (أمانؤيل كانت) ان الرمز بذاته ولذاته. فيقول " الرمز بعد أن ينتزع من الواقع يصبح طبيعة منقطعة مستقلة بحد ذاتها وليس من علاقة بينه وبين الشيء المادي، ألا بالنتائج.

اما (هيغل) فيعرف الرمز بأنه " شيء خارجي معطيه مباشره تخاطب حدسنا مباشرة، بيد أن هذا الشيء لايؤخذ ويقبل كما هو موجود فعلا لذاته، أنما بمعنى أوسع وأعم بكثير.

فالرمز أذن قابل للتأويل وتختلف تفسيراته ومعانيه وتتنوع بشكل كبير. و الرمز هو بداية الفن حيث يمكن أن يعد كمرحلة ما قبل الفن، حيث الفنان القديم لا يعد أن ما يقوم به من رسوم ومنحوتات هي فن، بل كان يعدها مجرد تعبير عما يحس به او يشعر، أوهي وسيلة أتصال بينه وبين جماعته، وبينه وبين القوى الغيبية والتي كانت مسيطرة عليه وعلى حياته، والتي كان همه الاول هو أرضائها وتجنب غضبها. فأستخدام الرمز للتواصل مع ما حوله من مجتمع وبيئة. " أن استخدام الرمز في الفن يرجع الى عهود العصر الحجري القديم، وكذلك الى فنون الخزف القديم ... وينفرد الأنسان بقدرته على أدراك الرموز أو صياغتها.. (عطية ،١٩٩٦،٣٩- ٤٣)

فكانت للرموز وكما يرى (فشر) " أهميتها الكبرى للأنسان الاول أذ كانت لها وظيفة تنظيمية داخل المجموعة أو الجماعة العاملة لأنها تنقل نفس المعنى الى كافة أعضاء الجماعة.(فيشر ، ١٩٧١، ٣٩) فالرموز لدى الانسان الاول هي كاللغة بالنسبة لنا الان، والتي من خلالها نستطيع أن ننظم كافة شؤون حياتنا. ألا أن الفيلسوف

الالماني (ارنست كاسيرر) أشار بأن اللغة ليست فقط وسيلة أيصالية، ولا هي الأداة الوحيدة لذلك الامر إذ أن وظيفة اللغة هي فهم الواقع الفيزيائي للأنسان وخلقه بأستمرار. وانها لاتقتصر على الوظيفة الايصالية فهي ليست الأداة الوحيدة التي تقوم بهذا الدور، بل هنالك أنظمة أشارية تعمل على تصوير العالم وخلقه بأستمرار، ومن هذه الأنظمة. الدين، الأسطورة، الفن ، العلم، التاريخ، وغيرها.(ببير ،١٩٩٨، ١٤-٢٥)

وقد حدد (كاسيرر) مفهوماً للرمز أعتمد فيه على فلسفة خاصة بطبيعة النوع الأنساني في تميزه عن الحيوان. فالانسان برأيه يتميز عن الحيوان بما يمكن تسميته بالنظام الرمزي فالأنسان لا يحيى في عالم مادي خالص بل في عالم من الرموز المختلفة كاللغة والدين والفن والأسطورة والحضارة، وهذه جميعاً تمثل رموزاً للحضارة الأنسانية. فهي تحقق نسيج من الرمزية العالية وكل تقدم وتطور في فكر الأنسان من خلال تجاربه المتزايدة والمتراكمة، ما هو الأ تعقيد لهذا النسيج وأحكام لروابطه.

وقد أشار (كاسيرر) أن عملية الترميز هي أعطاء ماندرك رموزاً، تربط بينها وبين ما تمثله، فهي لاتكتفي بمجرد أستخلاص مفاهيم الخبرة وما تنطبق عليه في الواقع. فالرمز يكتسب رمزيته من الخاصة من طريق مايمثله. فمثلاً رسوم الكهوف هي رموز لتلك الفترة، و فخاريات حلف والعبيد وسامراء هي رموز لتلك الحقب التاريخية بكل ما فيها من فكر ودين وعادات وتقاليد وأعراف وأصول، و (الثور المجنح) في الحضارة العراقية القديمة هو رمز أسطوري لتلك الحضارة، كما أن الكنيسة والجامع هي رموز معمارية دينية ترمز للديانتين المسيحية و الاسلامية. وكذلك الحال بالنسبة لباقي الرموز الاخرى.

ويؤكد (كاسيرر) على أن الرموز البشرية ليست مجرد مجموعة من الدلالات التي تشير الى بعض المعاني أو الأفكار أو التصورات بل هي " شبكة معقدة من الأشكال أو الصور التي تعبر عن مشاعر الأنسان وأهوائه وأنفعالاته وآماله ومعتقداته . وينتهي الى التعريف بكون الأنسان حيواناً رمزيًا.

وتتفق (سوزان لانجر) مع (كاسيرر) في هذا، أذ فهي تشير الى أن "الأشكال الخاصة للأفعال التعبيرية، الكلام، الأيماء، الأغنية،... إن هي ألا تحولات رمزية. كما تتفق معه في رؤيتها للأنسان في كونه " حيوان رامز يبتكر الرموز ويستخدمها. وعليه يمكننا القول أن الأنسان منذ العصور القديمة كان يصور عناصر الطبيعة المحيطة به، ليس بمحاكاتها أو نقلها من الواقع وكما هي، بل بترميزها والتعبيرعن انفعالاته وأفكاره بصورة مختلفة من خلال الأشارة أو الأيماءه أو مما خلفه من رموز وأشكال مرسومة على جدران الكهوف، فهو يرمز بالأشكال تلك لكي يعبر بها عن خلجات نفسه، أي انه يقوم بنقل أفكاره ومشاعره من خلال التعبير الرمزي المجرد للشكل." لقد أستطاع الفنان المبدع بوسطه الحضاري، أن يمثل في أشكال الجمادات والأشكال الحيوانية والبشرية والظواهر الكونية (الجوهر الروحي) وان يعقد بين هذا الجوهري وشكله الطبيعي علاقة مضمونية وشكلية، وهذه السمة التي تميز هذه الأشكال الرمزية. (صاحب ،٢٠٠٣، ٣٧) وهذا ما عرف بعد ذلك (بالسحر التشابهي).

فالفنان كان يمثل الجوهر والمضمون بأشكال رمزية ويعقد بينها صلة أي بين الجوهر والشكل الخارجي للرمز. وكأن الأشكال الرمزية لديه (كالوعاء) يصب فيه الجوهر أو المضمون او الفكرة لتتجسد أمامه بشكل مرئي هو رمز لها.

فالأنسان عندما يبدع الرموز فهو يحاول ان يعبر عن احاسيسه ومشاعره الداخلية، والتي اسمته (سوزان لانجر) بالوجدان البشري وعرفته بانه " هو ما يمكن أن نشعر به... أبتداءآ من الأحساس الطبيعي، الألم، الراحة، الأبتهاج، الى غير ذلك من عواطف معقدة وتوترات عقلية. الا انها ميزت بين الرمز الفني والفن كرمز، فمن الممكن أن يستخدم الرمز في الفن دون أن يكون فناً رمزياً " فهنالك الكثير من الرموز التي نستخدمها في الفن، غير أن الفن رمز مفرد، لا يمكن تجزئته، كما انه يدرك مباشرة وككل. فالعمل الفني لايجزأ لانه وحده واحدة مترابط بعدد من العلاقات البنائية والفكرية لايمكن تجزئته أو فهم مضمونه الا كوحدة واحدة ضمن نسق واحد. وعملية تحليلنا للرموز تتم ضمن أطار عمل واحد، لا كرموز منفصلة عن بعضها

البعض، فالعمل الفني ما هو الا مجموعة من العناصر أن تجزئت أختلفت مفاهيمه وتفسيراته ودلالاته.

و يفسر (هربرت ريد) سبب خلق الأنسان للرموز الى أنه يتميز عن باقي الكائنات الحية بما أسماه (الوعي الذاتي). وذلك لكي يعبر بها عن أفكاره ومشاعره وذاته. فالإنسان منذ أمد بعيد كان قد أستعان بالرموز من أجل التوصل الى بعض المعاني، التي تجعل من الفن تعبير عن المشاعر الداخلية الأنسانية.

لقد برز الأهتمام بالرموز في مجال علم النفس منذ بدايات القرن العشرين اذ أهتم العاملون بهذا التخصص بتحديد ماهيات الرموز وعلاقتها بالعملية النفسية. " فكل شيء مرده الى صلب الخبرات الشخصية للفنان، أذ أن أعماله ليست سوى وسائل للتنفيس أو لاحداث التوازن النفسي عن الرغبات المكبوتة. (هاوزر ، ١٩٧٣، ٤٩)

أي أنها طريقة يحاول الفنان من خلالها أن يفرغ مكنونات النفس البشرية، فهي عملية تحويل وتوجيه الى هدف رمزي معبر عنه، لذا فان لكل رمز في ذاكرة الأنسان هنالك معنى موجه بفعل رغباته. " فلكل فنان طريقته الخاصة في فهم الوجدان البشري وفي التعبيرعنه... وهذا التعبير لايكون الاعن طريق الرمز.

ويرى (ريد) أن سايكولوجية أبداع الرمز تتمثل بأن يكون للفنان حالة من الأستعداد النفسي والعاطفي، هذا الأستعداد يولد لديه فكرة ما، تستوجب التعبير عنها برمز ذو شكل مادي مرئي وملموس ، فيستدعي الفنان عند ذلك خزينة من الصور والأشكال العالقة في ذاكرته. فيقوم بعملية الربط بين أحدى تلك الصور والرمز حدسياً. عندها يأتي دور المادة في تجسيد الرمز ومن خلال وعي الفنان وخبراته المتراكمة يخضع الرمز الأصلي الى الكثير من التعديلات ، ليصبح أكثر رمزيةً وملائمةً لتلك الفكرة. وليس من الضروري أن يبدأ الفنان هذه العملية من البداية دائما، بل قد يبدأ وهذا ما يحدث غالبا من المادة . (ريد،١٩٨٣، ٢٦)

فالفنان ذو مزاجية عالية وروح شفافة، هذه الحالة تولد لديه الكثير من الهواجس والمشاعر والأفكار التي يحاول التعبير عنها عبر فنه بشكل رمزي. فهو يحاول أيجاد رمز مناسب وملائم لتلك الأفكار والهواجس ليربطه بها، عبر علاقة قد

تكون وهمية فقد يكون شكل الرمز ليس له علاقة بمضمون الفكرة لذلك يقوم الفنان بأختزال الشكل الخارجي للأشياء وتجريدها وتبسيطها ليخلق رمزاً جديداً يختلف عن الاشياء و رموزها في صورتها الأولى. ولكن هذا ليس شرطا في هذه العملية ففي أغلب الأحيان، يبدأ الفنان من المادة التي سوف يجسد فيها الفكرة بشكلها الرمزي. ويؤكد (كارل يونغ) ارتباط الرمز بالفنان فهو يرى أنه حين نحاول فهم وتحليل الرمز فنحن " لسنا نجابه الرمز ذاته فحسب، بل ونكون أمام كليه الفرد المنتج للرمز، وأن هذا يتضمن دراسة خلفيته الثقافية.

فالفنان يتأثر بمحيطه الخارجي من بيئة وعادات وتقاليد وموروث وسياسة ودين وغيرها من عوامل قد تؤثر بشكل أو بآخر في شخصية الفنان، ونتيجة لذلك فهي تؤثر على الرمز الذي يستخدمه في أعماله الفنية، فالرمز الذي يستخدمه الفنان العراقي يختلف عن الرمز الذي يستخدمه الفنان المصري. فبيئة وحضارة وتضاريس وفكر العراق تختلف عن مصر في كل ما قد سبق ذكره. وقد يختلف أيضاً من فنان لآخر ضمن المنطقة الجغرافية الواحدة نفسها، ففنان جنوب العراق يختلف في أستخدامه للرمز عن فنان شمال العراق أو وسطه. نظراً لأختلاف البيئة المحيطة به والمجتمع الذي ينتمي له وحتى في العادات والتقاليد وغيرها من المؤثرات التي تؤثر عليه. وقد يكون الأختلاف بين فنان وآخر ضمن نفس المنطقة الجغرافية نفسها، نتيجة التراكمات المعرفية والتجارب الخاصة والثقافة الشخصية لكل فنان.

ويرى (يونغ) أن الرموز نوعان، هي أما (رموز ثقافية) وهي التي ما زالت تستخدم في العديد من الأديان وتكون هذه الرموز أتفاقية ذات محتوى ديني أوأسطوري أو ثقافي. أو (رموز طبيعية) فهي تدرك بأشكالها المستمدة من الطبيعة وكما هي.

كما ورد مفهوم آخر للرمز لدى ريكوار، بوصفه علاقة تحمل تعبيراً غرضها أيصال معنى، حيث حددت الرمز بوصفه بنيه دلالية مشتركة ذات معنى مزدوج لأعطاء الأتساق والوحدة، فالمعنى المزدوج ما هو الا الهدف القصدي للمعنى الثاني، أما التعبير الأول فيوقظ الفهم للتعابير الشكلية التي تشكل الرمز.

الفصل الثالث

تداعيات الانثروبولوجيا الرمزية في الخزف المعاصر

يتمثل هذا البحث بمجموعة من الاعمال او الاشكال والنصوص ذات البعد الرمزي ، ومما يتضح لنا ، ان الغاية التعبيرية تعد من سمة الاشكال الواقعية والرمزية ، او الرموز التجريدية ، والتي تتمثل ببعض المظاهر والاشكال الفلكلورية والتي تنوعت اشكالاها التعبيرية عن المرموزات والدلالات الحضارية لفترة وادي الرافدين ووادي النيل ، في مركزية الصورة نجد ان الفنان المعاصر استطاع ان يقدم قراءات رمزية محملة بايحاءات انثروبوليجة ، تقدم رمزية الانتماء بتجسيد اشكال ونصوص فنية ، تكون اقرب بوصفها لطبيعة البيئة الجغرافية لبلد الدراسة ، وهنا يحاول الفنان تكوين ايحاء معين يستدل على وجود مجموعة من الوظائف السايكوفسلجية ، في اطار داخلي ، يعمل على تحديد الاشكال ووظائفها الانثربولوجية ، وطريقة انتمائها للنص الفني ، وهي تمثل اعلى مراحل العزلة للرموز في تنوع الحضارات ، نجد هنا ان الرمز يمثل عملية ترجمة لما يوحي به ، وليس لما هو عليه ، أي بمعنى اخر ، يقدم تفسيراً دقيقاً لنمط الحياة المعاشة في الفترة المنصرمة ،و هو بذلك يعد مثالاً اخر ، على ما اعتمدته بعض من المدارس الفنية الحداثوية والمعاصرة التي قدمت الرمز الفني بأسلوب ، دلالات واشارات وعلامات ، تفسر واقعية انتمائها او اشتغالاها ، يعبر عنها الفنان او الخزاف المعاصر ، بمجموعة احاسيس ومشاعر وأفكار نابعة من اغاوره اللاشعورية ،عن طريق البيئة الحاضنة والمؤثرة ، فضلا عن العادات والتقاليد ، التي تكون مؤثرة تؤثر وتتأثر بالبيئة الفنية ، والواقع من ذلك ان مجموعة الأنظمة او النظام المتبع في اسلوبية الفنان في العلامات والاشكال والألوان الفنية ، تقدم رمزيتها بصورة مستقلة ، فنجد ان بعض الفنانين والخزافين المعاصرين يؤكدون على اللون المهيمن في النتاجات الخزفية ، وذلك بسبب روحية اللون المتمثلة بداخل الخزاف ، والامثلة في ذلك كثير انظر الشكل والشكل والشكل ، فعندما نجد الفنان وهو يضع في خزفياته شكلا او لوناً ، فأنه بذلك يضع رمزاً خاصاً في أسلوبه

ويقدم انثروبولجيته ، بهوية الانتماء للثقافة المجتمعية ، ويريد ان يشير الى ان الثقافة هي جزء من الحضارة الإنسانية .

ومن هذا المنطلق ، نجد ان القصص المحكية والروايات الشعبية والفلكورية ، تعد جزء لايتجزء من النظام المجتمع الانثروبولجي ، وهي تكون ضمن انتماء الفرد لطبيعة التكوين الجغرافي ، او الانثوغرافي ، ويعد الفنان احد افراد النظام المجتمعي السائد لطبيعة تكوينه الانثربولوجي ، فهو بذلك يكون محمل بمخيلة ثرية من المواضيع المستندة على الحضارات او الديانات الميثولوجية ، فهي تعتبر من ضمن الموروث الشعبي او الفلكوري ، التي ورثها الخزاف من بيئته الخاصة ، ومثلت علامات رمزية وشفرات أنثروبولوجية ، محددة ضمن المكان والزمان الحاضن المتصور في ذاته ، ليستوحي الفنان مواضيعه من ماقدمته تلك البيئة الحاضنة ، فهي تقدم بيئة خصبة وثرية ، تعتمد الموجودات البسيطة التي تستخدم في الحياة اليومية ، والتي مثلت مجموعة من الاشكال والمستلزمات والأدوات مثل السجاد والصناديق والخزانات ، التي تجد مفرداتها حاضرة ، في القصص والاساطير التي يتم تداولها من قبل الافراد في المجتمع ، وتمثل عملية توارث لكل الصور والاشكال المترائية في النصوص الخزفية . وبناء على ماتقدم ، نجد ان هذه النصوص الخزفية المحملة بالايحاءات الأنثروبولوجية ، تعطي للشكل قيمة رمزية تمثل هوية خاصة ، كل هذا نجد ان الفنان المعاصر متأثر بكل الموروثات التي تأثر بها من ثقافته الحضارية ، وهو ما يريد ان يستدل الى هويته الخاصة ، ويبين الى المتلقي المشاهد السابقة ، والتعرف على تراثه وموروثاته ، عن طريق الرموز والدلالات الشكلية ، والتي تستدل على ثقافة يشكل يجتاح المدركات الحسية لمتلقي تلك النصوص . انظر الشكل(١) والشكل(٢) والشكل (٣)

ماهر السامرائي

سعد شاكر

ساجدة المشايخي

Juta Ryndina

Lisa clague

cao hui

ومن ناحية أخرى يلجأ الفنان الى بناء الاشكال الخزفية بطريقة تخترق نمط وعلاماتها والعلاقات الطبيعية ، بأعتماد قدر كبير من الحرية في بناء الاشكال المتداخلة والمتجاورة ، فالرموز المستخدمة في النصوص الخزفية ، هي محاولة للاقتراب من التجسيد الحقيقي للأشكال التي تم تنفيذها واشتغالها في الفترات السابقة ، وهي اشبه بعملية ، الوصول الى اقتراب الشكل من سماجته الواقعية ، بيد ان تكرار الاشكال والألوان تقدم انتاجيتها في النص الخزفي ، وتمثل مراحل اقتراب او مقاربات حقيقية مع الاشكال الأسطورية والميثولوجية ، بانثربولوجيا الاظهار للاشكال المنتجة ، وهذا مادفع الخزاف المعاصر ، الى إعادة صياغة الاشكال بصورة تقترب من حقيقتها الواقعية ، ليقدم لها الرمزية المرجوة في تحقيق غايتها السحرية ، ويمكن ان نشير بهذا ، الى ان الاعمال التي تم اشتغالها في الفترة المعاصرة تنتمي الى طبيعة الاعمال المنتجة في تلك الفترة ، وهي تعتمد بصورة رئيسية على التعبير على التكوينات المنبثقة من الأفكار الوجدانية والحسية لدى الفنان ، ويكون منهجها الشكلي قائم على الدلالات الرمزية والمشاهد الانثروبولجية ، مرتبطة مع بعضها البعض ، لتكون محملة بالمضمون وليس بالشكل ، وتكون نصوص مفعمة بالتخيلات الرمزية ، والتي تحمل مضامين فكرية انفعالية ، وهنا يريد الخزاف ان يقدم الاشكال والنصوص المفعمة بتلك العلامات والرموز ،

يريد ان يخلق علاقة بين الرمز وتكوينه ، ، فالعناصر الشكلية المكونة للتركيب البنائي للعمل الفني ، هي تقدم مجموعة من الخطوط والألوان والتكوينات التي يمكن ان نستدل على رموزه للعمل الفني وانثروبولجيته التي تشكل بعداً ثقافياً للموروث التقليدي والفلكلور المنتمي للخزاف والمتلقي ، وهذا بحد ذاته يعتبر توظيف للرموز من حيث الرؤية الانثروبولجية

النتائج والاستنتاجات

كانت الحكاية والاسطورة والموروثات الشعبية للقصص المحكية ، عناصر مؤثرة في انثربولوجيا الرمز ، وقدمت للخزاف العوامل الأساسية في تكوين رموزه الانثروبولوجيا ومثلت نوعا من العلامات والشفرات المبثوثة الخاصة ، بأنعكاس دراماتيكي يقدم الانفعال والمبالغه والاثارة في نصوصه الفنية

اسهم اللون عند الخزاف المعاصر نوعا من الايحاءات الرمزية والتي مثلت ارتباطاً سايكولوجياً في ذات الفنان من خلال البيئة الحاضنة المؤثرة ، والتي اعتبرت مخيلة ثرية للخزاف في تكوين موضوعاته ، ضمن مخيلة تركيبية تقدم نتاجاتها الإبداعية بعملية تكوين واسترجاع وصناعته ومن ثم تدوينه كرمز انثروبولوجي في نتاجاته الفنية

حفزت الاساطير والقصص المحكية وما قدمته بيئة الفنان الحاضنة والمفعمة بالقصص والروايات المتنوعة والمتعددة ، بنصوص خزفية محملة بالايحائات والرموز ، التي مثلت هوية خاصة للفنان المعاصر ، بأنتمائه للموروثات ذات الثقافة الحضارية ، وتقديم نوعا من التعريف الدلالي بأشكال ونصوص خزفية ذات عناوين انثروبولوجية ، تجتاح مخيلة المتلقي المنتمي لهذه البيئة وجميع مدركاته الحسية بمواضيع تخترق نمط العلامة والعلاقات الطبيعية.

ساعدت الرموز الانثروبولوجية القديمة والمستخدمة في الحياة اليومية والتي تعتبر من ضمن الموروثات الشعبية والفلكلورية ، مثل (الاشكال والمستلزمات والأدوات مثل السجاد والصناديق والخزانات) التي ورثها الخزاف من بيئته الخاصة ، والتي مثلت علامات رمزية وشفرات انثروبولوجية ، شكلت قيم فكرية ومخيلة ثرية لخزين ابستمولوجي ، استطاع الخزاف ان يجعل منها حاضن مهم للأبداع في تشكيله للنصوص الخزفية يستوحي منها الفنان ادواته الإبداعية ، باعتماد موجوداته البسيطة التي تستخدم في الحياة اليومية ليركبها الفنان ويعيد صياغتها عن طريق تركيب جزئياتها بصورة تقترب من الواقع ، بجعلها رموز يتم تداوله من قبل الافراد في المجتمع .

كانت الانساق الثقافية التي قدمها الخزاف في اعماله الانثروبولوجية عن طريق تكويناته الخزفية برؤية معاصرة ، عمدت الى ان تكون منظومة معرفية ، استطاع الخزاف ان يزج القصدية في اعماله المنتجة ليحولها الى طاقات إبداعية بعيدة عن تمثيلها الميثولوجية او تأثيراتها المحكية والمتجسدة عند وعي المجتمع المحمل بافراط بالصور ولاشكال التي اغنت بيئته الخاصة ، فحملت تلك المنجزات اعمالا خزفية مثلت ابداعا لامتناهي ، بتشكيل جمالي معاصر فاعل ، يقدم عامل الاثارة لدى متلقي تلك النصوص

المصادر والمراجع

١- *ابن منظور . لسان العرب المحيط ، إعداد يوسف خياط ، دار لسان العرب ، ب ت ، ١٢٢٣ .*

٢- *ابو زيد احمد . ماذا يحدث في علوم الانسان والمجتمع، مجلة عالم الفكر، ج٨ ، الكويت ٢٠٠١،٧*

٣- *ارنست فيشر . ضرورة الفن ، ت أسعد حليم ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧١ ، ٣٩- ٤٠.*

٤- *ارنولد هاوزر . فلسفة تاريخ الفن عن : محمد عزيز نظمي، الأبداع في علم الجمال ، ط١ ، دار المعارف ، ١٩٧٣ ، ٤٩ .*

٥- *تايلر :- أبحاث في تاريخ الجنس البشري القديم وتطور الحضارة ، لندن ،١٨٦٥، ص٣*

٦- *جيرو بيير ، علم الاشارة (السيميولوجيا) ، ت : منذر عياش، دار طلاس للدراسات العربية والنشر ، دمشق، ١٤-٢٥.*

٧- *حسن محمد حسن . الأسس التاري خية للفن التشكيلي المعاصر ، ج٢ ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ب. ت ، ١١٣ .*

٨- *زكريا ابراهيم . فلسفة الفن في الفكر المعاصر " الفن رمز ومعنى سوزان لانجر ، مكتبة مصر ، مصر ، ١٩٨٨، ٢٦٣*

٩- *زهير صاحب . الأشكال الرمزية في عصر ما قبل التدوين في العراق ، دراسات في بنية الفن ، مطبعة ايكال للتصميم والطباعة ، بغداد ، ٢٠٠٢ ، ٣٧ .*

١٠- *كارل غوستاف وأخرون . الأنسان ورموزه ، ت . سمير علي ، منشورات وزارة الثقافة والأعلام ، سلسلة كتب مترجمة ، ١٩٨٤ ، ٣٤٥ .*

١١- *كلود ليفي شتراوس :- الانثروبولوجيا البنيوية ، ت،ر: مصطفى صالح ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق، ١٩٧٧، ١٦*

١٢- كولونجوود . مبادئ الفن ، ت : أحمد حمدي محمود ، مطبعة المعرفة ، القاهرة ، ب ت ، ٢٤٨ .

١٣- كيزويل ، اريث . عصر البنيوية من ليفي شتراوس الى فوكو ، ت : جابر عصفوري ، دار آفاق عربية للصحافة والنشر ، بغداد ، ١٩٨٥ ، ٢٩٠ .

١٤- محسن محمد عطية ، الفن وعالم الرمز ، ط ٢ ، دار المعارف مصر ، ١٩٩٦، ٣٩ - ٤٣ .

١٥- المنجد في اللغة والإعلام ، لمجموعة من الباحثين ، ط٣٨ ، دار المشرق ، بيروت ، ١٩٨٦ ، ٢٧١ .

١٦- هربرت ، ريد : معنى الفن ، ت : سامي خشبة ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٦ ، ٢٤٧.

١٧- هربرت ريد . حاضر الفن ، ت. سمير علي ، دار الحرية للطباعة بغداد ، ١٩٨٣، ٢٦.